# الكوفـــة الغـــراء

## أرض الرسالات السماوية وعاصمة الخلافة الإسلامية

الأستاذ الدكتور: محمد حسين علي الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث أحسبه جديداً في العرض والأكتشاف والنتائج، يُعنى بتأصيل حاضرة الكوفة بأعتبارها مركز الأشعاع الأنساني الأول، ويستظهر تأريخها القديم رسالياً وحضارياً وقومياً، ويستقرئ بصماتها في وضع الأركان الأساسية للتراث العالمي المجهول، نخلص من ورائه الى قراءة معاصرة للبشرية وتتابع الأجيال، ونذهب فيه مذهب البحث الموضوعي في إستكناه الحقائق ، آملين التوفيق باستيحاء العظة والعبرة، أعتداداً بالماضي المجيد، وتطلعاً للمستقبل المشرق ، لا نغالي في القول ، ولا نبالغ في الأستذكار ، بل هي الطريقة المثلى التي تقود الى أستلهام القيم والأفكار والفضائل في ظلال من القرآن الكريم ، وفي أستخلاص للتأريخ الشريف دون تزيد أو اضافة .

وهذا كله لا ينافي أن نأنس بأمجاد الكوفة أصلاً وعراقةً وكرامة ، فالكوفة أحدى المدن الأربع : مكة ، المدينة ، القدس ، الكوفة . والتي أختارها الله تكريماً لها دون أرضه الواسعة .

في الحديث : ((أن الكوفة حرم الله وحرم رسوله (ص) وحرم أمير المؤمنين)) عليه السلام .

ومسجدها الكبير قد صلى فيه ألف نبي، وألف وصي نبي كما في الأثر .

وهو أحد المساجد الأربعة : بيت الله الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى، ومسجد الكوفة .

ويستفاد من بعض الروايات: فضل مسجد الكوفة على المسجد الأقصى في بيت المقدس.

وروى مشايخ الحديث عن هارون بن خارجة ، قال : قال أبو عبد الله الصادق صلوات الله عليه من حديث (( ........ ما من نبي ولا عبد صالح ألا وقد صلى في مسجد الكوفة . حتى أن رسول الله (ص) لما أسري به الى السماء ، قال له جبرائيل : أتدري أين أنت يا محمد ؟ أنت الساعة مقابل مسجد كوفان، قال: فاستأذن ربي حتى آتيه فأصلي فيه ركعتين . فنــزل فصلى فيه )) [1]

---

(١) ظ: الكافي والمفاتيح / ٨٣٦ وأنظر مصادره .

وفي وسط المسجد اليوم ، مقام النبي محمد (ص) ويدعى هذا المقام بدكة المعراج، ووجه تسميته بذلك — فيما يبدو — ما تقدم.

ولك أن تقول أن الكوفة ومسجدها قد أختطهما سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية لتكون معقلاً للجيش الأسلامي ، فكيف أهتدى سعد لهذه البقعة ؟ وهذا الأيراد صحيح لا غبار عليه ، ولكننا لو دققنا النظر فيما وراء التأريخ ، لرأينا أن الخليفة عمر بن الخطاب(رض) قد أرسل سعداً قائداً للجيش ، ومعه مستشاران :

أولهما : حذيفة بن اليمان، صاحب سرّ رسول الله (ص) الذي أسرّ أليه بأسماء المنافقين، وشخّص له أعيانهم، وهو الوالي على المدائن فيما بعد القادسية من قبل عمر نفسه.

وثانيهما : سلمان المحمدي الذي قال فيه رسول الله (ص) : (( سلمان منا أهل البيت)) و (( ولا تقولوا سلمان الفارسي وقولوا سلمان المحمدي )) وقد روي أن النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع) (( قد علماه من علم الله المخزون المكنون ما لا يطيق حمله سواه )) [(١)]

وحينما أراد سعد تعيين موضع مسجد الكوفة ، أشار عليه كلٌّ من حذيفة وسلمان ، بهذا الموقع بالذات ، وقرب هذين الصحابيين الجليلين من رسول الله (ص) وأمير المؤمنين معروف ، فما يدرينا أن يكون ذلك بعلمهما ، وبتوجيه او أمر منهما ، ويؤيده أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، قد أختار الكوفة من بين حواضر العراق عاصمه للخلافة الإسلامية ، وأتخذ مسجدها قاعدة لحكمه وبالضبط في الثاني عشر من رجب سنة ست وثلاثين من الهجرة النبوية الموافق للرابع من كانون الثاني عام ٦٥٨ ميلادية ، وهو التأريخ الذي تبركت به جامعة الكوفة الموقرة ، وبأشارة مني ، فجعلته يومها المتجدد في كل عام ، فكان ذلك مدعاة أعجاب وتقدير .

## (١) الكوفة آثاريـــاً قبل الأسلام :

تشير الروايات التأريخيه المقطوع بصحة سندها ومتنها أن آدم ونوحاً عليهما السلام قد دفنا في البقعة المباركة التي دفن فيها الأمام علي عليه السلام في ظهر الكوفة ، وهي النجف الأشرف.[(٢)] ففي زيارة الأمام الأولى، وقد رواها الأثبات من العلماء منهم :

١. محمد بن محمد بن النعمان، العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ ) في الأمالي .

٢. رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) في مصباح الزائر.

---

(١) المفاتيح / ٤٩٢ وأنظر مصادره

(٢) ظ: أبن بطوطة / رحلة أبن بطوطة ١ / ١٠٩ + جعفر محبوبة / ماضي النجف / ١٣

٣. غياث الدين ، عبد الكريم بن أحمد بن طاووس ( ت ٦٩٣ هـــ ) في عمدة الزائر وفرحة الغري.

٤. أبو عبد الله ، محمد بن مكي الدمشقي العاملي الجزيني ، المعروف بالشهيد الأول (ت٧٨٦هــ) في كتابه المزار ، وسواهم لا سيما بحار الأنوار في مواضع عديدة ، وقد وردت العبارة الأتية : (( السلام عليك يامولاي وعلى ضجيعيك آدم ونوح ورحمة الله وبركاته )).

وفيها : ثم عد الى جانب رأس أمير المؤمنين لزيارة آدم ونوح عليهما السلام ، وقل في زيارة آدم : (( السلام عليك ياصفي الله ...... السلام عليك يا خليفة الله في أرضه ، السلام عليك يا أبا البشر، السلام عليك وعلى روحك وبدنك . )) فبدنه أذن في البقعة الطاهرة من النجف ، وقد خص بالسلام .

وفيها : وقل في زيارة نوح عليه السلام : (( السلام عليك ياشيخ المرسلين . صلوات الله وسلامه عليك وعلى روحك وبدنك وعلى الطاهرين من ولدك ورحمة الله وبركاته )) .

وهناك أثار عظيمة في مسجد الكوفة وفي بعض أسطواناته بالضبط، ففي الأسطوانة السابعة المسماة بمقام آدم عليه السلام، أنها مقام وفق الله تعالى فيه آدم للتوبة. وأن صح هذا فالكوفة موطن أول الخليقة البشرية ، وقد يدل عليه ما رقم في الأسطوانة أثارياً من الدعاء الذي أوله: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله (ص) ولا آله ألا الله، محمد رسول الله، السلام على أبينا آدم، وأمنا حواء، السلام على هابيل المقتول ظلماً وعدواناً ... السلام على شيت صفوة الله المختار الأمين .)) [١]

وباب الفرج يعرف بمقام نوح عليه السلام . [٢]

وباب أمير المؤمنين هي مقام نوح عليه السلام . [٣]

ولا مانع أن يكون لنوح عدة مقامات في الكوفة ومسجدها ، ففيها صنع السفينة، ومنها فار التنور، وبها كان الطوفان العالمي .

وفي رواية أن الأسطوانة السابعة مقام أبراهيم وأن أمير المؤمنين كان يصلي إليها .

وفي رواية معتبرة أن الأسطوانة الخامسة كانت بقعة صلى فيها أبراهيم خليل الرحمن ، فقد قال الأمام الصادق (ع) لبعض أصحابه : ((صل عند الأسطوانة الخامسة ركعتين فأنها مصلى أبراهيم عليه السلام.)) [٤]

وفي عمدة الزائر لأبن طاووس بالذات :

(١) ظ: المفاتيح / ٣٩٠ وأنظر مصادره .
(٢) المرجع نفسه/ ٣٩٦ .
(٣) ظ:الضياء / ٥٦٢ .
(٤) ظ:المفاتيح / ٣٩٤ .

١. عند الأسطوانة الرابعة ، وهي مقام أبراهيم ، تقول فيما أزاد بعضهم : سلام على نوح في العالمين .

٢. وعن مولانا أمير المؤمنين أنه قال : أدخل الى جامع الكوفة من الباب الأعظم فأنه روضة من رياض الجنة .(١)

وقل ما ذكره أبن طاووس في مصباح الزائر :

((السلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله وآله الطاهرين ، السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورحمة الله وبركاته، وعلى مجالسه ومشاهده، ومقام حكمته ، وآثار آبائه : آدم ونوح وأبراهيم وأسماعيل.))(٢)

وهنا تصرح الزيارة بآثار آدم ونوح وأبراهيم وأسماعيل ، وآدم أبو البشر ، ونوح أبوهم الثاني ، ومقره النجف وعمله في الكوفة ، وأبراهيم في مقامه في المسجد ، وأسماعيل نجل أبراهيم ، وهو رابع الأنبياء العرب .

**(٢) أدريس البابلي :**

وهو أول من أعطى النبوة بعد آدم عليه السلام ، وكان أدريس أول من خط بالقلم ، وأول من نظر في علوم النجوم والحساب ، وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم ، وهو عظيم عندهم، وقد أنزلت — فيما قيل — عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من جاهد في سبيل الله ، وقطع الثياب وخطها ، وهو وصي أبيه ، وقد توفي أدم عليه السلام في عهده ، فدعى أدريس قومه ووعظهم ، وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان ، والأبتعاد من ولد قابيل قاتل هابيل فلم يقبلوا منه .(٣)

وقد رفع الله أدريس إليه كما في التوراة ، وبنص من القرآن ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً))(٤)

وقد عد أدريس رابع الرسل السريانيين آدم وشيث ونوح كما في رواية لأبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .(٥)

والمعروف أن شيث وصي آدم.

وبيت أدريس أو مقامه أو كلاهما في زواية الجنوب الغربي من مسجد سهيل اليوم وهو في الكوفة الغراء، ويقابله مقام ابراهيم عليه السلام في الشمال الغربي من المسجد ، فأن لم يكن ذلك موطنه ومسكنه كما عليه الأستقراء ، فأنه موطن اقامته أو عبادته في الأقل كما تلقى هذا الخلف عن السلف .

---

(١) ظ: الضياء / ٥٥٧ وأنظر مصادره .

(٢) ظ : ابن طاووس / مصباح الزائر / أعمال مسجد الكوفة.

(٣) ظ : ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٣٤/١ .

(٤) سورة مريم / ٥٧ .

(٥) ظ: ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٣٤/١ .

ولا مانع ان يكون أدريس كوفياً وطناً وسكنى ، لأدلة تأريخية ناصعة ، أبرزها أن ملك بيوراسب في عهد أدريس عند المؤرخين، وقد ظهر بيوراسب في أول سنة من ملك طهمورث ، فدعا الأول الى ملة الصابئين، بينما كان طهمورث مطيعاً لله تعالى ، قال أبن الكلبي: أول ملوك الأرض من بابل طهمورث، وكان لله مطيعا ، وكان ملكه أربعين سنة ، وهو في عهد أدريس عليه السلام .(١)

ونتيجة المقارنة بين أقوال المؤرخين يظهر بالضبط أن أدريس عليه السلام :

بابلي كوفي، وهو اول ولد بني آدم نبوة، كما عليه الاجماع وان شيثا كان وصياً، وأنه أول من علم الكتابة.

وأما أسم أدريس فهو أسم عربي مشتق من المدارسة ، وكثرة الدرس ، وهنا لنا أن نتساءل عن صيغة هذا الأسم العربية ، فهل يدل هذا على أن المنطقة كانت عربية ما قبل تدوين التاريخ . الله وحده هو العالم.

يقول أحد أعلام المعاصرين : (( وأعلم أنه ليس في تلك البقاع ـــ حاضرة الكوفة ـــ مسجد يضاهي مسجد السهلة فضلاً وشرفاً بعد مسجد الكوفة ، وهو بيت أدريس (ع) وأبراهيم (ع) ومنـــزل الخضر عليه السلام ومسكنه))(٢)

فعن الأمام جعفر بن محمد الصادق (ع) كما هو مرقوم في مسجد السهلة: أنه – أي المسجد – فيه مناخ الراكب ، وبيت أدريس النبي ... )) (٣)

**(٣) نوح النبي عليه السلام :**

النبي نوح عليه السلام أبو البشر الثاني ، فأبوه السابع آدم عليه السلام .(٤)

وهو أول أولي العزم، سادة الأنبياء، وأصحاب الرسالات العالمية، وقد أرسله الله الى البشر كافة بكتاب وشريعة ، فكتابه أول الكتب السماوية ، وشريعته أول الشرائع الآلهية(٥)

وتنتهي أنساب البشر اليه بدليل قوله تعالى (( وَجَعَلْنا ذُرِيَّتَهُ هُمُ الباقِينُ )) (٦)

وهوأبو الأنبياء جميعاً عدا آدم وأدريس لأنهما قبله بدليل قوله تعالى : (( وتركنا عليه في الأخرين )) (٧)

(١) ظ : المصدر نفسه ١/٣٥ .
(٢) ظ: المفاتيح / ٤٠٤ وأنظر مصادره
(٣) وسائل الشيعة ٣/٥٣٣
(٤) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ١/٨٧
(٥) ظ: الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ١٠/٢٥١
(٦) سورة الصافات /٧٧
(٧) سورة الصافات / ٧٨

وليس بالأمكان تحديد الحقبة الزمنية تأريخياً بين آدم ونوح بالضبط الصحيح، ألا أن بعض الروايات تشير اليها بحدود عشرة قرون ، فقد روي عن جماعة من السلف أن بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق، وأن الكفر بالله حدث في القرن الذي بعث فيه نوح، وهوأول نبي بعث بالأنذار والدعاء الى التوحيد ، وهوقول أبن عباس وقتادة [١].

وكان نوح عليه السلام في عهد بيوراسب ، وبيوراسب في ملك طهمورث ، وطهمورث ملك البابلين ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فدعاهم نوح الى الله تسعمائة سنة وخمسين سنة ، كلما قضى قرن تبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر .))[٢]

وللقرن دلالتان في العد الزمني ، فتارة يطلق على الجيل من الناس كما عليه القرآن العظيم ، قال تعالى (( ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين . )) [٣]

وقال تعالى (( وكم أهلكنا قبلهم من قرن )) [٤]

وقال تعالى ((وَكَمْ أَهْلَكْنا مِن القُرون مِنْ بَعْدِ نُوح)) [٥]

وبعضهم يرى أن القرن مائة سنة ، فأن كان المراد بالقرن الجيل من البشر ، فبين آدم ونوح عشرة أجيال ، وأن كان المراد مائة سنة فبينهما ألف عام .

قال أبن الأثير ( ت ٦٣٠ هـ ) (( وقد أختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح عليه السلام ، فمنهم من قال أهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكره الله تعالى من ركوب الفواحش، والكفر ، وشرب الخمور ، والأشتغال بالملاهي ، عن طاعة الله .

ومنهم من قال : أهم كانوا أهل طاعته ، وبيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئة ، وتبعه على ذلك الذين أرسل اليهم نوح. والذي لا شك فيه أهم أهل أوثان كما نطق به القرآن ، وهو مذهب طائفة من الصابئين فإن أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين، وهم الملائكة لتقربهم الى الله زلفى ، فأهم أعترفوا بصانع العالم ، وأنه قادر حكيم مقدس ألا أهم قالوا : الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلال الله، وإنما نتقرب إليه بالوسائط المقربة لديه، وهم الروحانيون، وحيث لم يعاينوا الروحانيين، (وهم الملائكة) تقربوا اليهم بالهياكل، وهي الكواكب السبعة السيارة ، لأنها مدبّر العالم عندهم ، ثم ذهبت طائفة منهم، وهم أصحاب الأشخاص حيث رأوا أن الهياكل تطلع وتغرب ، وترى ليلاً ولا ترى نهاراً —

(١) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ١/ ٩٠

(٢) ظ: المصدر نفسه ١/٨٧ + أبن الأثير / الكامل ١/ ٣٦ .

(٣) سورة المؤمنون /٣

(٤) سورة مريم / ٧٤

(٥) سورة الأسراء / ١٧

الى وضع الأصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها الى الهياكل ، والهياكل الى الروحانيين، والروحانيين الى صانع العالم — وهو الله تعالى — فهذا كان أصل وضع الأصنام أولاً ))[١]

وتواصى قوم نوح بعبادة الأصنام (( وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً . ))[٢]

وأسماء هذه الأصنام من الأعلام الدالة على مسمياتها في كل الأصوات ، وتكتب كما هي لاتينياً في كل اللغات ، لأن الأعلام لا تترجم وأنما تبقى كما هي في الغالب. والذي يجلب الأنتباه حقاً أن أسماء هذه الأصنام جميعاً اسماء عربية ، ولها معانيها في اللغة باعتبارها أسماء عربية ،ونأتي عليها لغوياً بحسب تسلسلها في القرآن العظيم:

١- وُدّ، قال الراغب ( ت ٥٠٢ هـ ) في المفردات بالنص :

و (( وُدّ صنم سمي بذلك أما لمودهم له ، أو لأعتقادهم أن بينه وبين الباري مودّة، تعالى الله عن القبائح. ))[٣]

ويعني هذا : أن قوم نوح سموا هذا الصنم وداً باللغة العربية لمودهم له ، أو لعقيدهم أن بينه وبين الباري مودة ، تعالى عن ذلك علواً كبيرا.

فما معنى أن يسمي قوماً صنماً بأسم عربي ، له دلالته العربية ، وفيه معناه العربي، وهم لا يريدون ذلك ، ولا يعرفون العربية !!!

٢- سُواع : أسم مصدر عربي لا شك في هذا ، وقد ورد في اللغة : (( وجاءنا بعد سوع وسواع ، أي بعد هدوء . ))[٤]

ولما كان سواع أسم صنم عند قوم نوح ، فما المانع أنهم كانوا يقصدونه ، ويريحون اليه لحظة الهدوء ليكون اللقاء في خلوه من الصفاء الروحي فيما يزعمون .

١. ويغوث أسم مصدر على صيغة المضارع من الغوث ، وقد جاء في معاجيم العربية : (( الغوث يقال في النصرة ، والغيث المطر ، واستغثته طلبت الغوث أو الغيث . فأغاثني من الغوث ، وغاثني من الغيث . ))[٥]

وما المانع من قوم نوح أن يسموا بهذه الصيغة ، طلباً للغوث ، فهم يستجيرو ن به ، ويستغيثون عند الشدائد ، أو يطلبون به الغيث ، فهو شبيه عندهم بآله المطر فيما يزعمون .

(١) أبن الأثير / الكامل في التأريخ ٣٨/١ وأنظر الطبري / تأريخ الأمم والملوك ٩٠/١

(٢) سورة نوح /٢٣

(٣) الراغب / المفردات / ٥١٧

(٤) المصدر نفسه / ٢٤٩

(٥) المصدر نفسه / ٣٦٧

١- يعوق ، وهو أسم صنم، وتصريفه: عاق يعوق عوقاً، يقال : عاقه وعوقه وأعتاقه، ومنه عوائق الدهر ، قال تعالى ((قدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعوقِين مِنْكُم)) [١]

أي المثبطين الصارفين عن طرق الخير .

قال الراغب : ويعوق أسم صنم . [٢]

فالأسم عربي في مادته وأشتقاقه وتصريفه ودلالته ، فلعله كان يثبط قوم نوح عن العزم في الأمور لدى الأستقسام في الأزلام ، وأن لم يكن كذلك فهو في الأقل : مادة لغوية عربية الأصل.

٢. نسر أسم صنم في قوله تعالى (( نسراً )) والنسر طائر ، ومصدر نسر الطائر الشيء بمنسره : أي نقره[٣]

والنسر عادة ما يشمخ بأنفه الى السماء، وما يدرينا ، فلعل لهذا المعنى علاقة بتسميته والا فهو أسم عربي، ولا ندري انطباق ظروف التسمية عليه .

ومهما يكن من أمر ، فلا يخلو المقام بالنسبة لقوم نوح ، أما أن يريدوا ذلك من هذه الأسماء في معانيها بلغتهم الأصل، فهم عرب ، أو أنهم في الأقل يحسنون العربية ودلالتها وعلى الغرض الأول يتجلى أن الكوفة موطن العرب الأول بعد الخليفة بألف عام على الأكثر، أن لم يكن دون ذلك ، أذ لا بد من اللغة من النشوء حتى تترقى الى مرحلة الأستقرار والتداول . وعلى الفرض الثاني ، فأن اللغة العربية قديمه جداً بحيث يحسنها البابليون والسومريون ويسمون الأعلام بمسمياتها، وهو أيضاً أمر جدير بالأهمية ، وعلم ذلك كله عند الله تعالى، فأن القرآن الكريم لم يصرح بشيء من هذا ، وأن صرح بالأسماء العربية للأصنام، الا أن الأستنباط العلمي يقتضي ما قدمناه ، والله العالم والعاصم .

وهنا نؤكد أمرين :

الأول ، أن الأجماع قائم أن نوحاً كان مقره النجف ، وعمله في الكوفة ، كما عليه جملة من الروايات:

ففي الكافي بأسناده عن المفضل بن عمر ، وكان له عند الأمام الصادق (ع) في الكوفة أيام قدم على أبي العباس السفاح ، وأنتهى الى الكناسة في الكوفة ، وذكر صلب عمه زيد حتى أنتهى الى طاق الزياتين ، فنـــزل الأمام الصادق ، وقال للمفضل : (( أنزل فأن هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي كان خطه آدم ،وأنا أكره أن أدخله راكباً . قلت فمن غيّره عن خطته ؟

(١) سورة الأحزاب/١٨.

(٢) الراغب / المفردات / ٣٥٤

(٣) المصدر نفسه / ٤٩٠

قال: أما أول ذلك فالطوفان في زمن نوح، ثم غيره كسرى والنعمان، ثم غيره بعد زياد، فقلت: وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح ؟

فقال لي : نعم يا مفضل ، وكان منــزل نوح وقومه في قرية – على مترل من الفرات – مما يلي غرب الكوفة .

قال الأمام : وكان نوحٌ رجلاً نجاراً ، فجعله الله عز وجل نبياً وأنتجبه ، ونوح أول من عمل سفينة تجري على ظهر الماء .....قال : ولبث نوح في قومه ألف سنة ألا خمسين عاماً يدعوهم الى الله عز وجل ، فيهزأون به ويسخرون ، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم بما حكاه تعالى (( وقال نوح ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا ألا فاجراً كفاراً))[١]

فأوحى الله عز وجل الى نوح أن أصنع السفينة وأوسعها وعجّل عملها ، فعمل نوح سفينته في مسجد الكوفة بيده ، فأتى بالخشب من بعد حتى فرغ منها .......

وأشار الأمام الى موضع دار ، فقال : يا مفضل وههنا نصبت أصنام قوم نوح : يغوث ويعوق ونسر .............. ))[٢]

أقول يبدو من هذه الرواية :

أ- قدم مسجد الكوفة، وأن أدم قد أختطه، وأن نوحاً قد أقام فيه، وعمل في وسطه السفينة ، وأن تغيرت معالمه ، وبعض أماكنه ، ومما يؤيده ما رواه أبو رزين الأسدي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يتحدث عن نوح عليه السلام وعن قومه ، وعن صنعه للسفينة ، وهو في الكوفة قائلاً : وكان نجره في وسط مسجدكم ، ولقد نقص عن ذرعه سبعمائة ذراع .[٣]

ب- قول الأمام الصادق (ع) وكان مترل نوح وقومه في قرية مما يلي غرب الكوفة، أقول أن المراد في غرب الكوفة فيما يبدو هو النجف الأشرف اليوم .

الأمر الثاني : أن أقدم نص لدينا عن الطوفان العالمي ، كان في ملحمة جلجامش يقول فيه ، وهو يتحدث عن الطوفان :

وأخبر أحد الآلهة جده (( نوح البابلي )) بذلك ، وتسميه الملحمة (( أو تو نبشتم )) وهو ترجمة سومرية للأسم – وطلب منه أن يعمل سفينة ، وينجو بنفسه بالقول الأتي :

قوض بيتك وأبن سفينة
وأترك ما تملك ، وأنقذ حياتك .
وتخل عن أملاكك ، وأنج بحياتك .

---

(١) سورة نوح / ٢٦-٢٧

(٢) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القران ١٠/ ٢٤٢ .

(٣) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القران ١٠/ ٢٤٢ .

وخذ معك الى السفينة بذرة كل مخلوق حي .

* * * * *

ارسل الموكل بالزوبعة مطراً مهلكاً في السماء
وتطلعت الى حالة الجو .
فأذا الجو مخيف لا يمكن النظر إليه.

* * * * *

أتى غيم أسود من الأفق البعيد .
وأرعد (أدد) عنان السماء (( أدد: إله الزوبعة والمطر عند السومريين ))
وقلب النور الى ظلمة .
وكسرت الأرض مثل إناء.
وهبت العاصفة يوماً واحداً ، هبت سريعاً .

* * * * *

عصفت الرياح ستة أيام وست ليال، وانحسرت الأمطار .
وثارت العاصفة ، فغطى الطوفان الأرض .
ولما كان اليوم السابع ، خفت شدة العاصفة والطوفان .
وأستوت السفينة على جبل نصير
ومسك جبل نصير السفينة و لم يدعها تتحرك . [١]

وهنا تبدو عدة ظواهر علمية دقيقة :

١- أن ملحمة كلكامش تتحدث عن سكان العراق في فجر السلالات ، وكان نهاية هذه السلالات الفتح الأكدي لسومر المؤرخ بعام (٢٨٠٠) قبل الميلاد ، بينما أعتبره آ خرون في عام (٢٣٥٠) قبل الميلاد وعندما وحّد سر جون الأكدي بلاد الرافدين بقسميها الشمالي والجنوبي [٢]

٢- هناك عصران قد سلطا على العراق القديم : عصر ما قبل السلالات وعصر فجر السلالات ، وهو المعروف بعصر فجر السلالات السومرية الذي كان بعد الطوفان ، كما أن عصر ما قبل الطوفان يسمى بعصر ما قبل السلالات ، فالملحمة اذن تؤرخ طوفان نوح ، وبذلك تعتبر أقدم نص عن الطوفان قد يقدر بالألف الثالث قبل الميلاد لأنها حبرت وكتبت ونظمت قبل عصر المقبرة الملكية في أور، والتي يعود تاريخها الى حوالي ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد .

---

(١) ملحمة كلكماش / ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس ( مجلة سومر / ج٦ /عدد/ ٢/ ١٥٤-١٦٣

(٢) ظ: ستيون لويد / موجز تأريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن / ٣٨ ترجمة : طه باقر وبشير فرنسيس / لندن / جامعة أكسفورد / ١٩٤٣ + دليل المتحف العراقي / ١٧ / لسنة ١٩٦٠ م .

٣- ان القرآن العظيم قد أورد قصة الطوفان العالمي بما يوافق ما أشتملت عليه ملحمة جلجامش في كثير من المقاطع، وهذ ملحظ من ملاحظ أعجاز القرآن الكريم، اذ يتحدث عن الغيب بدقة متناهية ، تؤيدها اثار الحفريات السومرية .

أ – في طور صنع السفينة قال تعالى :

((فأوحينا اليه أن أصنع الفلك بأعيننا ووحينا فأذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك ألا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون . )) (١)

ب — في عوالم الطوفان بالأمطار الغزيرة ، وتفجير الأرض بالعيون قال تعالى (( ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيوناً فألتقى الماء على أمر قد قدر ))(٢)

وهنا تلمح القدرة الآلهية الجبارة في فتح أبواب السماء بالماء المنهمر االطاغي ، وتفجير الأرض كل الأرض عيوناً فوارة عاتية ليلتقى ماء السماء المتوالي الى جنب ماء الأرض المتتابع لينقلب الكون الى محيط عات من الأمواج يصوره الله تعالى بالنسبة للسفينة ((..وهي تجري بهم في موج كالجبال .. ))(٣)

وذلك تنفيذاً للأمر الرباني المقدر الجاري على هذا الهول المفزع .

ج- في نجاة نوح ومن معه من المؤمنين قال تعالى :

(( فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون * ثم أغرقنا بعد الباقين . )) (٤)

وقال تعالى مفصلاً للحالة (( ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الأخرين * سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين* أنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الأخرين . )) (٥)

د- في صدور الأمر الفوري في أنهاء عوالم المياه ومظاهر الطوفان ، وأستواء السفينة قال تعالى (( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين.)) (٦)

٤- أن الملحمة تدور حوادثها حول حياة كلكامش ، وكلكامش هذا أحد ملوك سومر الأقدمين ، وقد ظهر أسمه في ثبت الملوك السومريين بأعتباره الملك الرابع الذي حكم بعد طوفان نوح عليه السلام في مدينة ( أورك ) وأورك تقوم أطلالها حالياً في المنطقة المعروفة بأسم ( الوركاء ) في جنوب العراق على

---

(١) سورة المؤمنون / ٢٧

(٢) سورة القمر/ ١١-١٢

(٣) سورة هود / ٤٢

(٤) سورة الشعراء/١١٩-١٢٠

(٥) سورة الصافات /٧٥-٨٢

(٦) سورة هود /٤٤

مسافة ٣٠ كيلو متراً شرقي مدينة السماوة ( محافظة المثنى حالياً ) وعلى بعد ١٢ كيلو متراً شمال شرقي ناحية الخضر ، وكانت تقع على نهر الفرات ، ويرجع تأريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد . [١]

٥- أن هذا الطوفان قد شمل الكرة الأرضية بأعتبار أن اليابسة كانت ضمن نطاق محدود يحيط بمنطقة الطوفان، وبتعبير أخر أن الحياة البشرية والأحياء البحرية والمزارع النباتية، والثروة الحيوانية كانت ضمن منطقة الطوفان في العراق ، لهذا أمر نوح عليه السلام بحمل زوجية الكائنات البشرية والحيوانية والنباتية في سفينته لئلا تنقطع الحضارة على وجه الكرة الأرضية ، ولتعود من جديد الى الحياة بعد الطوفان الغامر الشامل ، وهذا لا يمنع أن تكون بعض المناطق اليابسة منتشرة على سطح الكرة الأرضية ، ولكنها غير مأهولة – لزوماً – بالحياة بدليل قوله تعالى (( وجعلنا ذريته هم الباقين.)) [٢]

فلا بقاء لسواهم لفناء كل الأشياء . ومن هنا نستنتج أن انطلاق حضارة العالم كان من الكوفة الغراء وأرض الرافدين .

٦- يذهب الدكتور أحمد نسيم سوسه بأنه من المرجح أن سفينة نوح عليه السلام قد أستقرت الى جانب المرتفعات الصحراوية في جوار النجف الأشرف، وهي المرتفعات المعروفة بأسم ( النواويس ) والنواويس قد وردت في كلام سيد الشهداء الأمام الحسين بن علي عليهما السلام بقوله (( كأني بأشلائي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء )) وأن النص الوارد في القرآن الكريم ((وأستوت على الجودي )) وهي كلمه عربية ، مما يؤيد أنها رست على مرتفع من صحراء جنوب شرقي الفرات عند حدود سلسلة مرتفعات النجف التي تعلو على سطح البحر بما يقارب (٦٥) متراً . [٣]

ويؤيده ما روي عن المفضل بن عمر عن الصادق (ع) في (( أستوت على الجودي )) قال : هو فرات الكوفة.[٤]

ومعنى هذا أن البشرية قد تدفقت في الكون من منطقة الكوفة ، ومما يؤيده مدفن نوح عليه السلام في النحف ، وهو اليوم ضمن ضريح أمير المؤمنين الأمام علي عليه السلام .

**(٤)- هود وصالح عليهما السلام :**

وهود عليه السلام أول عربي أرسل الى عاد، وذلك بعد نوح وقبل ابراهيم عليهما السلام .

وكانت مساكن عاد مابين السهول الشرقية لليمن وتسمى بالشحر وبين عمان وحضرموت بالأحقاف.[٥]

(١) ظ: سعد حاتم محمد مرزه / معجزة القرآن والطوفان /٩٤ وأنظر مصادره .

(٢) سورة الصافات /٧٧

(٣) ظ: أحمد نسيم سوسه / فيضانات بغداد ، عن مقال : موطن الطوفان وأستقرار فلك نوح / ٨٥-١٩٢ / ١٩٤٦ م

(٤) العياشي / تفسيره للآية .

(٥) ظ: أبن ألأثير / الكامل في التأريخ ١/٤٨

والأحقاف رمال يقال لها رمل عالج ، والدهناء، ويبرين ما بين عمان وحضرموت .

وقد نص القرآن العظيم على الأسم بسورة الأحقاف التي سميت بأسم ديارهم ومنازلهم ، فقال تعالى (( واذكر أخا عاد أذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.))(١)

ويبدو من القرآن العظيم أنهم كانوا في نعمة وخير، ولهم أعمار طويلة وأجسام عظيمة. وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها ، وأبرز أصنامهم ثلاثة : ضر ، ضمور ، الهباء ، فأرسل الله هوداً يدعوهم الى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وخلع الأنداد، وترك ظلم الناس، فكذبوه وأذوه، وقالوا من أشد منا قوة ، و لم يؤمن ألا قليل.(٢)

فأصيبوا بعد الأنذار بعذاب الأستئصال بالريح العقيم ، سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً متوالية ، فلم تدع من عاد أحداً ألا هلك ، وأعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حضيرة ما يصيبهم الا ماتلين عليه الجلود، وتلتذ النفوس.(٣)

قال تعالى : (( فلما رآوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين.))(٤)

قال الطبرسي : وكان هود وصالح وشعيب وأسماعيل ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتكلمون بالعربية.(٥)

ويستخلص مما تقدم أن النبي هود عربي بدلالة صيغة أسمه العربية ، وقومه العرب ، ومنطقته العربية ، وأسماء الأصنام التي عبدت من دون الله عربية أيضاً .

وأن هذا الجيل القديم من العرب يسمى عاداً الأولى .

قال تعالى (( وأنه أهلك عاداً الأولى * وثمود فما أبقى . ))(٦)

واما ثمود فهم الجيل الثاني من العرب بعد عاد الأولى ، وكانت مساكنهم من البلاد العربية في الحجر ، وهوبين الحجاز والشام، وقد كثروا بعد عاد، واستخلفوا في الأرض ، وكانوا في سعة من معايشهم . فكفروا بالله وأنعمه ، فبعث الله اليهم نبيه صالحاً عليه السلام .(٧)

---

(١) سورة الأحقاف / ٢١

(٢) ظ: أبن الأثير / الكامل ١ / ٤٨ .

(٣) ظ: الطبرسي / مجمع البيان ٢/ ٤٣٩ .

(٤) سورة الأحقاف / ٢٤-٢٥ ز

(٥) الطبرسي/ مجمع البيان ٢/ ٤٣٩ .

(٦) سورة النجم / ٥٠-٥١ .

(٧) ظ: أبن الأثير/ الكامل في التأريخ ١/ ٥٠.

قال تعالى : (( والى ثمود آخاهم صالحاً قال ياقوم أعبدو الله مالكم من إله غيره هوأنشأكم من الأرض وأستعمركم فيها فأستغفروه ثم توبوا أليه أن ربي قريب مجيب.))[١]

وكانت ثمود تعبد الأصنام ، وتعمر طويلاً ، وتتخذ من الجبال بيوتاً ، كما جاء في القرآن الكريم (( وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين .))[٢]

وذكرهم القرآن بمواطنهم ومساكنهم وأرسال الرسل اليهم، وعاقبة أمرهم . قال تعالى:

(( ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وأتيناهم أياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين * فأخذهم الصيحة مصبحين ))[٣]

وكانوا عكفاً على أصنامهم ، فدعاهم صالح الى عبادة الله وحده ، ونبذ الوثنيه فقابلوه بما قصه الله تعالى من أمرهم :

((قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا اتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب * قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وأتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير))[٤]

ويبدو أنهم قد طلبوا اليه المعجزة ، بأخراج ناقة جوفاء عشراء من صخرة بعينها ، فأتى الصخرة وصلى ودعا ربه ، فأذا بها تتمخض وتخرج من وسطها الناقة وهم ينظرون ، فكانت آية كما تحدث القرآن (( ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ))[٥]

ويبدوا أنهم تواصوا على عقرها ، فأخذهم عذاب الأستئصال كما قال تعالى ((فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب * فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين أمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ أن ربك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا أن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود ))[٦]

وبعد عذاب الأستئصال نجى الله صالحاً والذين أمنوا برحمة منه .

والذي يثير الأنتباه حقاً بعد أستئصال عاد وثمود هو تواتر وجود ضريح هود وصالح في ظهر الكوفة بطريق الأستقراء العلمي منذ عصر الأئمة عليهم السلام وعهود الصحابة والتابعين والذين من بعدهم

(١) سورة هود / ٦١
(٢) سورة الشعراء / ١٤٩ .
(٣) سورة الحجر / ٨٠ – ٨٣
(٤) سورة هود / ٦٣
(٥) سورة هود / ٦٤
(٦) سورة هود / ٦٥ – ٦٨

وحتى اليوم فقد ورد في وصية أمير المؤمنين (ع) لولده الامام الحسن(ع) قال: ((وادفنوني في قبر أخي هود))[١].

وفي رواية اخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ((واذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخوي هود وصالح))[٢]، وهما الآن في ضريح ذي قبتين تستقبلان وادي السلام، ويبتعدان عن ضريح الأمام علي عليه السلام حوالي ثلاثمائة متراً فحسب، في بناء شامخ يقصد ويزار، وكان أخر تجديدهما على يد السيد بحر العلوم قدس سره (ت:١٢١٢هـ) وما يدرينا أن هوداً وصالحاً ، قد هجر كل بلده وموطنه الأصلي، بعد استئصال قومه، وأستوطنا منطقة عربية، وهي ظهر الكوفة حتى أتاهما الأجل، ودفنا في واديها المقدس، أو لخصوصية أخرى، كون الكوفة أرض الرسالات السماوية ومهبط الوحي على من سبقهم من الرسل . الله هو العالم.

**٥- ابراهيم الخليل عليه السلام :**

وهو الثاني من الأنبياء أولي العزم ، وكان مولد ابراهيم عليه السلام ببابل من أرض السواد وقال بعضهم ومولده بالسواد بناحية كوثي.[٣]

وكوثي أو كوثى أحدى قرى الكوفة[٤]

وكان مولده في عهد نمرود بن كوش بن كنعان وملكه في كوثي[٥]

وعن هشام بن محمد ، قال : بلغنا – والله أعلم – أن أبراهيم خليل الرحمن ولد في زمان نمروذ ، وأنه صاحبه الذي أراد أحراقه[٦].

وعن الأمام جعفر بن محمد الصادق (ع) يقول : أن أبراهيم كان مولده بكوثار ، وضبطها الجزري كوثى ، قريه من أعمال الكوفة[٧].

وهذا أحد القولين عند أبي الفداء بن كثير[٨].

وكذلك هو عند أبن الأثير[٩].

(١) الحر العاملي/ الوسائل ٣٠٩/١٠

(٢) الطوسي/ التهذيب ١٢/٢ + الوسائل ٣٠٨/١٠+ابن طاووس/ فرحة الغري/ ٢٨.

(٣) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ١/ ١١٩

(٤) ظ: مراصد الأطلاع / مادة : كوثي

(٥) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ١ /١١٩

(٦) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ١ /١١٩

(٧) ظ: الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٧/ ٢٢٩

(٨) أبن كثير / قصص الأنبياء / ١٨٨

(٩) ظ: أبن الأثير / الكامل في التأريخ ١ / ٥٣

وجاء في مراصد الأطلاع : وكوثى بالعراق في موضعين :
كوثى الطريق وكوثى ربا ، وبها مشهد أبراهيم الخليل (ع) ، وهما قريبان ، وبينهما تلول رماد ، ويقال أنها رماد النار التي أوقدها نمرود لأحراقه [١].

ومهما يكن من أمر فأن أبراهيم قد ولد في بابل أو الكوفة أو أحدى قرى الكوفة ، والدلائل على ذلك كثيره سيتحدث عنها البحث . وفجأ أبراهيم في هذه المنطقة بقومه من البابليين أن عبادتهم على نوعين من الوثنية والأشراك ، فقبيل من قومه يعبد الأصنام ، والقبيل الأخر يعبد الكواكب وقد يتداخل الأمران في عبادة التماثيل التي تحكي صورة الكواكب كالزهرة والقمر والشمس فيعبدونها ، ويشركون بالله سواه .

وقد حاجج أبراهيم هؤلاء وهؤلاء مستدلاً على بطلان عبادتهم، وسخر بهما جميعاً، ودعا الى التوحيد، وقد جاء ذكر ذلك في صور أسلوبية متعددة في القرآن العظيم، نشير الى أبرزها .

قال تعالى : (( واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين * وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين )) [٢]

فهو يستنكر على آزر وقومه عبادته للأصنام، إلا أن آزر بقي مصراً على ذلك وألح عليه إبراهيم وعاود عليه القول، فأبى آزر الأيمان وبقي على إشراكه، وأوعد إبراهيم بالرجم، وطلب مهاجرته طويلاً ، قال تعالى : (( وأذكر في الكتاب إبراهيم أنه كان صديقاً نبيا * إذ قال لأبيه يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا * يا أبت إني قد جائني من العلم ما لم يأتك فأتبعني اهدك صراطاً سويا * يا ابت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا * قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا ))[٣]

فقد حاجج إبراهيم اباه هنا حجاجاً مفصلاً فيه من اللين والأدب والأنذار الشيء الكثير، فهو يوقر أباه في الخطاب، ويدعوه الى نبذ عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا وهويخبره بأن جاءه من العلم ما لم يأته، ويطلب اليه إتباعه ويحذره عبادة الشيطان لأنه عصى الرحمن ، وهو يخاف عليه من عذاب الله بموالاته للشيطان ، أو يمسه هذا العذاب فيكون وليا للشيطان فيرد عليه أبوه بزجر وتهديد ومقاطعة، فيقابل أباه بأن لا خطر عليه منه وأنه سيستغفر له الله تعالى .

(١) ظ: مراصد الأطلاع / مادة : كوثي
(٢) الأنعام / ٧٤-٧٥.
(٣) سورة مريم / ٤١ — ٤٧.

وكما حاج أباه وقومه في عبادة الأصنام، فقد حاجج قومه أيضاً بعبادة الكواكب، وقد اراه الله عز وجل ملكوت السموات والأرض ، وأستيقن ذلك بنفسه ، وبذلك يكون قد استلهم دلالة توحيد الله تعالى بدلالة خلقه البديع في المشاهد المتعدده لهما .

وكان نظر إبراهيم عليه السلام في ملكوت السماوات والأرض نظر من يهتدي الى التوحيد حتماً ، لأن تدبره في ذلك يقضي بتوجه نفسه لله وحده لا شريك له ، أذ مدبر هذا الكون باللازم لا يقبل إلا الوحدانية ، فليس لغيره تعالى تدبير هذا الكون ، وليس للمحدثات كالكواكب والشمس والقمر بأعتبارها تتغير وتتحول وتغيب وتطلع وتافل ، وهكذا أية صفة للخلق لأنها مخلوقه حادثه يعود أمر جريانها وتدبيرها وتقديرها لله وحده .

قال الأمام الباقر عليه السلام (( كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن ، وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش .))(١)

فرؤية إبراهيم لهذا الملكوت رؤية أضافة خلقها وابداعها وتنظيمها وأدارة شؤونها الى الله عز وجل، وانتساب كل الأشياء في هذا المضمار الى الله تعالى أمر كما قال الطباطبائي: ((لا يقبل الشركة، ويختص به سبحانه وحده، فالربوبية التي هي الملك والتدبير لا تقبل تفويضاً ولا تمليكاً أنتقالياً . )) (٢)

لهذا فإنه أقام الدليل على بطلان عبادة الكواكب لحدوثها ،والخالق لا يكون محدثاً، ولتغير أحوالها في نفي الأستقرار وعدم الثبات، وذلك من صفات المخلوقين، قال تعالى حاكياً عن الحالة لديه :

((فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أني بريء مما تشركون * اني وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين))(٣)

فابراهيم عليه السلام رأى الكوكب ورأى القمر ورأى الشمس فتأكد أنها محدثات تأفل وتتقلب فقطع بخلقها، والمخلوق لا يكون خالقاً، فتوجّه بوجهه لله رب العالمين حنيفاً مسلماً موحداً .

وكان هذا كله لأنه أري ملكوت السموات والأرض ، فتفرع على هذا الأصل نظره الى الكوكب والقمر والشمس فرآها مخلوقة مسيرة.

ويبدو ان إبراهيم حينما تحرر من السرب فجأ برؤية أحد الكواكب السبعة ، وهو الزهرة في روايات أهل البيت ، وهوالذي يؤيده الأعتبار العلمي ، لأن الزهرة يضيق مدارها فلا تبتعد عن الشمس ألا قليلاً ،

---

(١) الطبرسي / مجمع البيان ٣ / ٣٢٢ .
(٢) الطباطبائي / الميزان ٧ / ١٧١ .
(٣) سورة الأنعام / ٧٦-٧٩ .

فهي كالتابعه لها ، وسواها لا يرى الا قليلاً أو شاذاً أو قد لا يرى كالمريخ وزحل والمشتري وعطارد، فلم يبق الا الزهرة وهي قد تتقدم الشمس فتسمى عند الناس نجمة الصبح ، وقد تتصاقب عند طلوع القمر في النصف الثاني من الشهر ، وهذه الخصوصية للزهرة من بين الكواكب السبعة بحسب نظامها وسيرها، على أن الزهرة أجمل الكواكب الدرية وأبهجها وأضوءها وهي تجلب النظر إليها عند الظلام الحالك. والقمر والشمس مذكوران بعدها .

وعلى هذا فقد رأى الزهرة وقومه يتنسكون بواجب عبادتها من خضوع وصلاة وقربان، فلما أفلت رأى القمر بازغاً ، فلما أفل بزغت الشمس فلما أفلت ، تبرأ من الجميع ومما يعبد قومه .

وقول أبراهيم في الكواكب هذه (( هذا ربي )) ليس من القطع والبناء ، وأنما هو أفتراض أمر للنظر في الأثار التي تثبته وتؤيده في حالتي الترقب والأنتظار ، فكأنه قد عد نفسه كأحد أبناء قومه مجاراة لهم ، ليبطل بذلك دعواهم ويثبت فسادها.(١)

وهذا حق لأنه كان على يقين من أمره ، فقد جاءه من العلم ما يؤكد توحيده الخالص بأراءة ملكوت السماوات والأرض ، لذلك فقد أبطل ربوبية هذه الكواكب أما لأفولها أو لعدم حبها ،أو هما معاً ، لأن ربوبية الله تعالى أنما تتجلى بالحب الألاهي من قبل العباد .

وهناك مؤشر بارز في حياة ابراهيم تتجلى فيه البطولة والشهامة وتتراءى فيه القوة والشجاعة ،كما يتمثل به الأيمان المطلق والتوكل على الله ،ذلك هو تحطيم أصنام القوم ، وهوليس أمراً أعتيادياً، ولا حادثة هامشية، بل هو في الصميم من اعتقاد القوم، ولك أن تتصور رجلاً بمفرده لا ناصر له ولا مؤازر ، يقاتل شعباً بأكمله في أعز شيء لديه ، وهو العبادة أنى كان جنسها ، فقد خرج قوم إبراهيم لعيد لهم خارج البلد ، وتخلف ابراهيم عنهم ، فراغ اليها ضرباً باليمين فجعلها جذاذاً ألا كبيرهم ، قال تعالى عن لسانه :

(( وتا الله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذاً ألا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون * قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين * قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم * قالوا فآتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون * قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فأسئلوهم ان كانوا ينطقون * فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرّقوه وأنصروا ألهتكم أن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين * ونجيناه ولوطاً الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين))(٢)

---

(١) ظ: الطباطبائي / الميزان / ١٧٣ وما بعدها بأختصار وتصرف .

(٢) سورة الأنبياء / ٥٧-٧١

فهو قد هجم على الأصنام وجعلها جذاذاً ، وهم يستنكرون ذلك ، ويلقون بالتبعة على ابراهيم، وهم يأتون به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، ويستفهمون عن الحدث ، فيعرض لهم بأن كبيرهم فعل ذلك وطلب سؤاله وأستنطاقه، واعترفوا بظلمهم ونكسوا على رؤوسهم، لأن أصنامهم لا تنطق، فأحتج عليهم مستنكراً ومستهجناً عبادة ما لا ينفع ولا يضر ، وتأفف منهم ومما يعبدون ، وذهبوا لأحراقه ونصرة آلهتهم ، فكانت النار برداً وسلاماً عليه ، ونجاه الله ولوطاً الى الأرض المقدسة .

وتحدثت صورة الصافات عن هذا الحدث في مشهد مقارب فيه تفصيل آخر ، فقال تعالى فيما أقتص عن أبراهيم :

(( فنظر نظرة في النجوم * فقال اني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين * فأقبلوا إليه يزفّون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعلمون * قالوا أبنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين * وقال أني ذاهب الى ربي سيهدين.))(١)

ونقف عند هذا النص القرآني على عدة ظواهر :

الأولى : أن حديثه بأنه سقيم على صلة بنظره في النجوم ، وربما كان ذلك من قبيل تعيين الوقت الذي يعاوده فيه مرض ما، فأعتل لذلك تعبيراً عن عدم استطاعته الخروج مع قومه الى عيدهم ، أو أنه على سبيل التعريض فأنه حينما ينظر في النجوم فأنما يتفكر في قدرة الله وبديع صنعه نظرة الموحد لا نظرة المنجمين الذين يربطون علل الأشياء ومستقبلها بالكواكب. وربما قيل إن إبراهيم قد وصف نفسه بالسقم مستقبلاً فكل أمريء يمرض والله العالم .

الثانية: ان إبراهيم قد أسرع الى آلهتهم المزعومة، وكانوا يضعون لها طعاماً، فكلمها بأكله مع علمه بأنها جماد لا يأكل، وحجر لا ينطق، فخاطبها مخاطبة من يعقل ليؤاخذها مؤاخذة العقلاء، رداً على زعم من يرجع إليها في التدبير، وأدارة شؤون الكون .

الثالثة : أنه مال على آلهتهم بحركة سريعة ، وعزم ثابت ، ضرباً باليمين ، سواء أكان اليمين اليد اليمنى أم كان القوة الضاربة .

الرابعة : ان قوم إبراهيم قد أسرعوا أليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم مستنكرين عليه ، ألا أنه بعد قبضهم عليه كان هو المستنكر عياناً ، فحاججهم أستفهاماً وأنكاراً انهم يعبدون ما ينحتون ، والخالق يَخلق ولا يُخلق ، فسفه عبادتهم الواهنة ، وأستعلى عليهم بأن الله قد خلقهم وما يعبدون ، توبيخاً لهم على ما أحدثوه من البدع والأضاليل .

(١) سورة الصافات / ٨٨-٩٩

الخامسة : تصميم قومه على الأنتصار لأصنامهم ، والأنتقام من ابراهيم ، وذلك بالأحراق بالنار ، فرد الله كيدهم في نحورهم وجعلهم الأسفلين ، وكتب نصره لأبراهيم بجعل النار برداً وسلاماً عليه .

السادسة : ختمت الأيات بالحديث عن هجرة ابراهيم الى الأرض المقدسة .ويبدو من القرآن العظيم أن ابراهيم حينما نجاه الله من النار ، قد أستدعى من قبل نمرود ليحاج ابراهيم في ربه ، قال تعالى :

(( ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الملك أذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين.))[١]

وقد كان على الذي أعطاه الله الملك – أن كان الضمير يعود على نمرود – أن يشكر الله على منته وفضله ، لا أن يحاج أبراهيم في ربه . وكانت حجة ابراهيم أن بدهه أن ربه يحيي ويميت ، ويريد بذلك أن الله تعالى قد أوجد الموت والحياة وخلقهما وأبدعهما على حد قوله تعالى :

(( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير* الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.))[٢]

ولكن نمرود غالطه في خط المحاججة ، فقال : أنا أحيي وأميت ، فأنتقل بالموت والحياة من أصلها في الأيجاد والأبداع ، الى معنى أخر لاعلاقة له بالمحاججة تمويهاً على الحاضرين اذ أمر كما في الروايات أن يحضر له أثنان ممن يستحق القتل، فقتل أحدهما، وأطلق الثاني، وأدعى أنه يحيي ويميت .

ويبدو أن المناخ الأجتماعي في مجلس الملك لم يكن ليساعد ابراهيم على الأدلاء بحجته هذه حسبما أراد، أو أنه وجد الحاضرين في المجلس قد أنطلت عليهم هذه الدعوى من الملك، أو أنهم لم يكونوا بالمستوى المطلوب لحجاج عقلي منطقي يستدعي التفكير والنظر، والتفريق بينما هو حقيقي وبين ما هو مجازي ، أو أنه أراد حجة لا جدال فيها ولا رد فيخصم الملك بأختصار الطريق بين يديه، وكسب قصب السبق دون مراء فقال ابراهيم ((فأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر)) أذ لا يستطيع الملك ولا من بمجلسه أن يدفعوا هذه الحجة لأنها غير قابلة للنقاش، فألقم حجراً، وأنتصر إبراهيم والله لا يهدي القوم الظالمين ))

ويبدو من خلال هذه المحاججة أن نمروذ كان يعد نفسه بمصاف الآلهة ، بل هو الآله لا سواه ، وأنه رب ابراهيم ورب الحاضرين ، لأن ابراهيم قال (( ربي الذي يحيي ويميت )) فقال الملك على الفور ((أنا أحيي وأميت)) دون العطف كأن يقول (( وأنا أحيي وأميت)) لأن مقتضى العطف هنا أن يشارك الله في

---

(١) سورة البقرة / ٢٥٨

(٢) سورة الملك / ١-٢

الربوبية ، وهويذهب الى أبعد من هذا بأرادة التفرد بالربوبية كما قال فرعون بما حكاه الله تعالى (( وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من آله غيري ..))(١)

وكما حكى عنه (( فقال أنا ربكم الأعلى . ))(٢)

بقي الأشاره الى ملحظ مهم في قضية ابراهيم مع أبيه آزر في قوله تعالى (( وأذ قال ابراهيم لأبيه آزر ... ))(٣)

فقد أختلف المفسرون في آزر هذا ، فقال قسم منهم أنه أبوه الصلبي كما عن الحسن البصري والسدي والضحاك ، في حين يكاد يجمع المؤرخون أن أباه تارخ . ومنهم من قال أن آزر جد أبراهيم لآمه ، أو أنه عمه ، لا أبوه ولا جده ، وقد روي عن النبي (ص) :أنه قال :

(( لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين الى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية . ))(٤)

فلو كان في آبائه مشرك والعياذ بالله – لم يوصف أحد منهم بالطهارة – لأن القرآن يقول:

(( أنما المشركون نجس ........ )) (٥)

ويؤيده ما روي عن الأمام الصادق (ع) متحدثاً عن مهنة آزر ، قال :

(( كان آزر عم أبراهيم منجماً لنمرود كان لا يصدر ألا عن رأيه . ))(٦)

والذي يدل عليه القرآن العظيم أن ((آزر )) لم يكن والده الصلبي ، فحينما زجر آزر ابراهيم على دعوته له لنبذ عبادة الأصنام (( قال سلام عليك سأستغفر لك ربي أنه كان بي حفيا. ))(٧)

فقد سلم عليه بما يقتضي منتهى الأدب، ووعده بالأستغفار رغبة في أيمانه ونبذه للأصنام، وتوحيده الله تعالى ، وقد وفى أبراهيم بهذا الوعد ، فدعا له ، قال تعالى حاكياً: (( وأغفر لآبي أنه كان من الضالين ))(٨)

وكان هذا الأستغفار عن موعدة سابقة ، فلما تبين لأبراهيم كفره وعداؤه لله تعالى ، تبرأ منه ، بما حكاه الله تعالى في محكم كتابه العزيز : (( وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أياه فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه أن ابراهيم لأواه حليم . ))(٩)

---

(١) سورة القصص / ٣٨
(٢) النازعات / ٢٤
(٣) سورة الأنعام / ٧٤
(٤) ظ: الطبرسي / مجمع البيان ٢ / ٣٢٢
(٥) سورة التوبة /٢٨ .
(٦) ظ: الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ٧ / ٢٠٧ .
(٧) سورة مريم / ٤٧
(٨) سورة الشعراء / ٨٦
(٩) سورة التوبة / ١١٤

وهذه الأحداث جرت لأبراهيم عليه السلام وهوفي سواد بابل أو الكوفة الغراء ، أيام الدعوة الى التوحيد ، وتسفيه عبادة الكواكب والأصنام ، وهو بعد لم يهاجر الى الأرض المقدسة ، ثم هاجر الى الشام ومصر، وقد رزق الذرية أستجابة لدعائه (( رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم . ))(١)

وسافر الى مكة المكرمة قبل تمصيرها ، وأنزل بها من ذريته بواد غير ذي زرع ، وبنيت الكعبة في البيت الحرام ، وتأهلت المنطقة بالسكان ، وكل ذلك يستدعي الكثير من السنين وفي نهاية كل هذا المطاف العريض قال بما أقتص خبره القرآن الكريم : (( الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل وأسحاق أن ربي لسميع الدعاء * رب أجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وتقبل دعاء * ربنا أغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب . ))(٢)

والدعاء في الآية الأخيرة دليل قاطع أن آزر ليس آباه الصلبي الحقيقي ، لأنه تبرأ سابقاً من آزر ، وتدل أن أباه الصلبي هو والده الحقيقي ، وانما أطلق على آزر لفظ الأب لأستعمال القرآن والعرب ذلك في العم والجد ، قال تعالى : (( أم كنتم شهداء أذ حضر يعقوب الموت أذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد آلهك وآله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحداً ونحن له مسلمون . ))(٣)

فابراهيم جد يعقوب واسماعيل عم يعقوب وقد سمّى القرآن كلا منهما أباً ، وجمع اليهم آباه الحقيقي وهوأسحاق .

أذن : آزر ليس الأب الحقيقي لأبراهيم بدليل دعائه لوالده الحقيقي في آخريات أيامه ، وكان قد تبرأ من آزر ، فكيف يدعو له .

وقد أجمع المؤرخون أن آباه تارخ أو تارح بالخاء المعجمة أو الحاء المهملة .(٤)

وهاجر ابراهيم الى الأرض المقدسة مع من آمن معه ، وفي طليعتهم زوجته ولوط عليه السلام ، قال تعالى :

(( فآمن له لوط وقال أني مهاجر الى ربي أنه هو العزيز الحكيم ))(٥)

وقال تعالى ((ونجيناه ولوطاً الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ))(٦)

والذي يدل عليه السياق القرآني من حياة ابراهيم في سواد الكوفة وأرض بابل : أنه عاش في بدأ حياته الأولى بمناخ منعزل عن حياة قومه الأجتماعية، كأن يكون في مغارة أو سرب أو نفق، حذراً عليه من

---

(١) سورة الصافات / ١٠٠ – ١٠١

(٢) سورة ابراهيم / ٣٩-٤١

(٣) سورة البقرة / ١٣٣

(٤) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ١/ ١١٩ + أبن الأثير / الكامل في التأريخ ١/ ٥٣ .

(٥) سورة العنكبوت / ٢٦

(٦) سورة الأنبياء / ٧١ .

القتل من قبل نمروذ، فلما فارق ذلك وأصطدم بالحياة العامة، بدأ بالدعوة الى التوحيد مبتدأ بآزر الذي وجده يعبد الأصنام ، فحاججه فيها وألزمه الحجة ، ثم حاج قومه فيها ، وأنكر عليهم عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ثم كسر أصنامهم، ثم عاين أستنادهم لعبادة مماثله للكواكب، والقمر، والشمس، فأفترض ربوبيتها معرّضاً من أجل تفنيد الدعوى ، فأسقطها جميعاً ، وتوجه بوجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً، فلا رب سواه، ولا معبود الاه، وأمده الله تعالى بأراءته ملكوت السماوات والأرض، فعرف البدء والتكوين والمعاد، وأنتقم منه قومه فأججت له النار العظيمة ، فنجاه الله منها بمعجزة تثير الدهشة ، وحاجه نمروذ في ربه ، فأفلجه ابراهيم ، ولم يستجب له ألا أقل من القليل ، فهاجر بهم الى الأرض التي باركها الله للعالمين ، وهكذا يتجلى لدى المقارنة في البحث أن ابراهيم وذريته كوفيون بابليون عراقيون ، وأن من هاجر معه من المؤمنين برسالته السماوية كذلك، ومن قبله آدم وادريس وذريتهما، ونوح وذريته وهم الباقون بعد الطوفان العالمي، وبذلك تتلخص بعد النتائج الحتمية :

١- أن الكوفة الغراء ، وبابل الفيحاء ، هما الأصل الأول في تكوين البشر وأنتشاره في العالم من خلال هذه البقعة المباركة .

٢- أن اللغة العربية الشريفة قد أنطلقت بأصالتها الكبرى من هذه الديار الشريفة .

٣- أن الرسالات السماوية العالمية لكل من أدريس ونوح وابراهيم كان مقرها أرض السواد من العراق ، وفي الكوفة بالذات كما تضافرت الروايات بذلك.

٤- أن الحضارة العالمية قد بدأت من هنا بأبي البشر الثاني نوح عليه السلام ، وقد قام المؤمنون وذريته من بعده بأرساء قواعد التحضر في مظاهر عديدة ، وأثار لا تقبل الشك من ههنا أبرزها ما أبقاه السومريون والبابليون والأكديون والأشوريون والعرب القدامى .

٥- أن هذه البقعة فيما يروى ويؤكد بالأستقراء أرض مباركة من قبل رب العالمين ، لا سيما وهي تحتضن جثمان آدم ونوح وهود وصالح وذي الكفل وأخيراً تشرفت بجثمان أمير المؤمنين، وسيد الوصيين مولانا الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم كان وادي السلام مجتمع أرواح المؤمنين وكان الدفن بهذه البقعة منجياً من عذاب البرزخ، كما تدل على ذلك الروايات المعتبرة التي لا تحصى كثرة .

بعد هذا الجزء من النتائج تقلبت الظروف في العالم ، وبدأت الحروب في أقطار الدنيا ، والكوفة تضمحل وتتجدد ، ونورها يخبو ويتألق ، والحضارة من حولها في الحيرة ، والملوك قربها في المناذرة ، والخورنق والسدير في ظلالها قرب الذكوات ، حتى عادة حاضرة للجيش الأسلامي سنة تمصيرها في الأسلام عام ١٧ من الهجرة ، فقطنها العرب ، وقسمت أرضها الى أسباع في نظام قبلي يسكنه أتباع العشائر والقبائل متقاربين متجاورين ، ثم حول ذلك الى أرباع ، وكل ربع من الكوفة يضم منتجعا من القبائل العربية في لحمتها ووشائجها الى أن عادت أحد العراقين مع البصرة .

٦- الكوفة عاصمة الخلافة الاسلامية:

وقد إكتسبت الكوفة الشرف الشامخ حينما أتخذها أمير المؤمنين عليه السلام عاصمة للخلافة الأسلامية في الثاني عشر من رجب سنةستة وثلاثين من الهجرة [١]

ويوافق ذلك الرابع من كانون الثاني عام : ٦٥٨ من الميلاد . وهو التأريخ الذي تبركت به جامعة الكوفة فجعلته يومها المتجدد في كل عام فكان ذلك مدعاة تقدير ، ومثار أعجاب في الدوائر العلمية .

ولأختيار أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة مقراً للخلافة والامامة أسباب تراثية وايمانية وعسكرية وسياسية ، لعل منها ما نعتقده :

١- كون الكوفة مقراً لرسالات سماوية سابقة ، ومهبطاً لجملة من الأنبياء العالميين ، وأثراً من أثار توحيد الله تعالى .

٢- كانت الدولة الأسلامية مترامية الأطراف في مشرقها ومغربها، وكانت الكوفة مركزاً وسطياً لتلك الدولة دون شك ، فمشرق الدولة الأسلامية يتعدى الى حدود أفغانستان وباكستان ويتاخم الصين ، ومغرب الدولة الأسلامية يشمل الشام ومصر وما والاهما ، وجنوب الدولة يحتضن الحجاز واليمن ، فلم يبق ألا الكوفة دارة تجتمع حولها هذه الأقاليم المتباعدة .

٣- كان أمير المؤمنين يعد العدة بعد معركة الجمل استعداداً لمعركة صفين، وصفين تقع فعلاً ضمن محافظة دير الزور من الأراضي السورية، فهي اذن على مقربة من أعماله وكوره في الأنبار وهيت اذا أستقر في الكوفة ، فله المدد وله العدد لا سيما أن الكوفة مربض أنصاره وأصحابه وأوليائه من العرب تمده بالرجال والسلاح والنصرة .

٤- أما كون الأمام علي عليه السلام قد أراد أن يبتعد بالمدينة المنورة عن الحروب والفتن فلا أصل له، فقبله رسول الله (ص)، قد قاد حوالي ثمانين معركة وغزوَة وسرية من المدينة المنورة، فهلا أبتعد بها عن هذه الحروب ؟

ومهما يكن من أمر فقد توسطت الكوفة الدولة الأسلامية ، وأنطلق منها الأشعاع الأيماني والفكري في عهد الأمام علي (ع) ليشمل الجزيرة العربية والحواضر الأسلامية ، وأحتضنت (بيت المال) للمسلمين، ليصرف في عدالة صارمة ، وسواسية حقة بين الناس على سواء، وليمّون الجيش الأسلامي بما يحتاج أليه من الميرة ورباط الخيل والسلاح، وليستقطب الدولة في ظل ذلك شعاع العدالة الأجتماعية المفقودة، فلا أرستقراطية لقريش على من سواها ، ولا فضل لعربي على أعجمي ألا بالتقوى .

(١) ظ: المسعودي / مروج الذهب ٢/ ٣٧٢

وَعَمُر السواد من خلال سياسة الأمام علي عليه السلام الأقتصادية ، فكان الخصب والثمر والغلال والألبان ، وكانت الأنعام والأبقار والمواشي ، وكان الربيع الذي أنتهى بالجوع وشيعه في خلافة ما أكتملت سنواتها الخمس لما تخللها من الحروب والفتن ذلك لأرادته حمل الناس على المحجة البيضاء.

وفوق هذا كله فقد أخذ نفسه بشدة ما بعدها شدة ، فلبس ما خشن وأكل ما جشب ، وهو القائل : ((ألا وان لكل مأموم أماماً يقتدي به، ويستضي بنور علمه ، ألا وان أمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وأنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع وأجتهاد، وعفة وسداد، فوالله ما كنـزت من دنياكم تبراً، ولا أدخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً ))[١]

وكانت همته نفسه ورياضتها بالأصعب ، لتأمن يوم القيامة ، قال ((وأنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق))[٢]

وهو عليه السلام قادر كل القدرة على تخير الأطعمة والأشربة، والتأنق بالرياش والمعاش، ولكنه يجانب هواه، ويريد مواساة الناس، بكل ما يستطيع وهو القائل ((ولو شئت لأهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة – ولعل بالحجاز واليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع – أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل :

وحسبك عاراً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش ))[٣]

ثم يخاطب الدنيا خطاب الناقد البصير والزاهد الخبير : ((إليك عني يا دنيا ، فحبلك على غاربك، قد أنسللتُ من مخالبك وأفلّتُ من حبائلك وأجتنبت الذهاب في ملاحضك))[٤]

وهذا غيض من فيض هذا الباب المتسع حتى لا يستبد الطغاة بالغنى، ولا يزري بالفقير فقره.

بلى قد أنزلت السماء بركاتها وأخرجت الأرض ثمراتها وكان الكوفيون يرون في أمير المؤمنين بطل الأستقلال السياسي للعراق ، وعملاق الفكر الأسلامي في الحياة حتى ذهب شهيد عظمته تمثل هذه الأيام.

---

(١) أبن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٠٥

(٢) المصدر نفسه١٦/ ٢٠٨

(٣) المصدر نفسه ١٦ / ٢٨٧

(٤) المصدر نفسه ١٦ / ٢٩٢

فأنطوى ذلك الحلم الرائع ، وأسدل الستار على ذلك الأمل المشرق، وبحق ما وصفه به ضرار بن ضمرة حينما دخل على معاوية فقال له صف لي علياً، فقال :

((كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشن، ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا أذا سألناه ، وكنا والله – على تقريبه لنا ، وقربه منا – لا نكلمه هيبة له، ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا، يبسم عن ثغره كاللؤلؤ المنظوم يعظم اهل الدين، ويرحم المساكين ويطعم في المزغبة ، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة ، يكسو العريان ، وينصر اللهفان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته ، وكأني به وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول:

يا دنيا غري غيري ، ألي تعرضتي أم ألي تشوفت ؟

هيهات هيهات !! الا حان حينك، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك عمرك قصير، وعيشك حقير وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ))[١]

وليكن هذا أخر حديثنا ، والحمد لله رب العالمين.

(١) المسعودي / مروج الذهب ٢ / ٤٢١ .

# المصادر والمراجع

١- خير ما نبدأ به : **القرآن الكريم**

٢- أبن الأثير / أبو الحسن / علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري ( ت ٦٣٠ هـ)
**الكامل في التأريخ** / تحقيق نخبة من العلماء دار الكتاب العربي / بيروت ١٩٦٧ م

٣- أحمد نسيم سوسة ( الدكتور )
**فيضانات بغداد** / بغداد / ١٩٤٦ م

٤- إبن بطوطة / أبو عبد الله / محمد بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ( ت ٧٧٩ هـ)
**رحلة أبن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار**
طبع المكتبة التجارية لمصطفى محمد / القاهرة / د.ث

٥- جعفر باقر محبوبة
**ماضي النجف وحاضرها** / الطبعة الأولى / مطبعة العرفان / صيدا / ١٣٥٣ هـ

٦-أبن أبي الحديد / عز الدين / عبد الحميد بن هبة الله المدائني (( ت ٦٥٦ هـ))
**شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين الامام علي عليه السلام**
تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم / ج ١٦ / دار أحياء الكتب العربية / القاهرة / ١٩٦٢ م

٧- دليل المتحف العراقي لسنة ١٩٦٠ م . بغداد / ١٩٦١ م

٨-الراغب الأصبهاني / الحسين بن محمد بن المفضل ( ت ٥٠٢ هـ)
**المفردات في غريب القرآن**
تر : محمد سيد كيلاني / مطبعة مصطفى البابي / القاهرة / ١٩٦١

٩- ستوين لويد
**موجز تأريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن**
ترجمة : طه باقر وبشير فرنسيس / جامعة أكسفورد / لندن / ١٩٤٣ م

١٠- سعد حاتم مرزة ( المهندس )
**معجزة القرآن والطوفان** / مطبعة الحوادث / بغداد / ١٩٩٥ م

١١- صفي الدين بن عبد الحق ( ت ٧٣٩ هـ)
**مراصد الأطلاع على أسماء الأماكن والبقاع** / طبعة بولاق. القاهرة.

١٢- ابن طاووس / رضي الدين / علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ)، مصباح الزائر / المطبعة الحيدرية / النجف.

١٣- أبن طاووس / غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس ( ت ٦٩٣هـ )
**فرحة الغري**/ المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف / ١٣٧٧هـ

١٤- الطبرسي / أبو علي / الفضل بن الحسن ( ت ٥٤٨هـ)
**مجمع البيان في تفسير القرآن** / مطبعة العرفان / صيدا / ١٣٣٣هـ

١٥- الطبري / أبو جعفر / محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ
**تأريخ الأمم والملوك**
دار القاموس الحديث / طبعه مصورة / بيروت / د.ت

١٦- الطوسي / أبو جعفر / محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام / طبعة ايران

١٧- عباس محمد رضا القمي النجفي ( ت ١٣٥٩ هـ)
**مفاتيح الجنان** / تعريب : محمد رضا النوري النجفي
دار الجيل / بيروت/ د.ت

١٨- أبن كثير / أبو الفداء / اسماعيل بن كثير الدمشقي ( ت ٧٧٤هـ )
**قصص الأنبياء** / منشورات مكتبة النهضة / بغداد / ١٩٨٣م

١٩- الكليني / أبو جعفر / محمد بن يعقوب بن أسحق الرازي البغدادي ( ت ٣٢٩هـ)
**أصول الكافي**
دار الكتب الأسلامية / طهران / ١٣٧٨ هـ

٢٠- الكليني / أبو جعفر / نفسه فيما سبق /
**الفروع من الكافي** تحقيق الغفاري والأملي / المطبعة الأسلامية / طهران / ١٣٨٨ هـ

٢١- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / ١٩٧١م

٢٢- محمد صالح الجوهرجي، ضياء الصالحين / مطبعة الأداب / النجف الأشرف / ١٣٨٥ه

٢٣- المسعودي / أبو الحسن / علي بن الحسين المسعودي الحلي البغدادي ( ت ٣٤٦ هـ )
**مروج الذهب ومعادن الجوهر**
دار الأندلس للطباعة والنشر / بيروت ١٩٦٥ م

٢٤- ملحمة كلكامش / حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد، نص شعري سومري / ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس .
مجلة سومر / ٦ / ٢/ بغداد .